



نقص الأدوية يترك الجرحى دون رعاية كاملة في غزة

يعيش محمد، وهو طفل يبلغ من العمر 11 عاماً، في ملجأ في مدرسة الدرج بالقرب من مدينة غزة. كان يقيم في السابق في حي الشجاعية القريب مع والديه وإخوته الخمسة، لكن الحرب أودت بحياة والدته وبشكل مأساوي. كما أدى نزوحه من منزله إلى إصابته بجروح خطيرة. يزور محمد بانتظام النقطة الطبية التابعة للأونروا لعلاج جرحه من الحروق والحصول على الأدوية الضرورية. ومع ذلك، وبسبب النقص الحاد في ظل الحظر الذي تفرضه السلطات الإسرائيلية على إمدادات المساعدات، فإن الطبيب لا يستطيع في كثير من الأحيان تزويده بالعلاج الكامل الذي يحتاجه. ويوضح طبيبه قائلاً: "من المفترض أن نلتزم ببروتوكول صارم بشأن الحروق، حيث نوفر للمرضى مثل محمد ما يكفي من الأدوية والضمادات اللازمة للعناية المناسبة في المنزل. ولكن مع محدودية الإمدادات، يجب أن يأتي محمد إلى العيادة يومياً لوضع المرهم والعناية بالجروح".

طوال أكثر من عام ونصف، حرم أطفال غزة من التعليم والضروريات الأساسية لطفولة طبيعية، وهم يتعرضون باستمرار لخطر الموت. إنهم ينامون كل ليلة وهم غير متأكدين مما إذا كانوا سيستيقظون على خبر وفاة أحد أحبائهم أو أمر تهجير آخر. حتى بالنسبة للأطفال الصغار، فإن أيامهم تستنزف في معاناة تأمين المياه وإشعال النيران للطهي والتدفئة ومحاولة إيجاد ملجأ آمن مع عائلاتهم.

يروى محمد: "أصبت بالحروق بينما كنت أساعد جدتي، كنا نحاول إشعال النار لطهي الطعام وتسخين الماء. لم يكن لدينا غاز للطهي، لا شيء على الإطلاق. كنت أبحث عن الحطب والورق وأي شيء يحترق لأساعدتها في إشعال النار. هكذا أصبت، وهذا مؤلم للغاية. أتى إلى هنا كل يوم، ويساعدني ذلك قليلاً، لكن لا شيء يزيل الألم حقاً".

إن ندرة الرعاية الطبية والأدوية الأساسية تضاعف من معاناتهم وتزيد من صدمتهم النفسية. بالنسبة لطفل مثل محمد الذي يتلقى العلاج من حروقه، فإن الجرح الجسدي ليس سوى جزء من المحنة، أما الندوب النفسية فقد تستمر مدى الحياة.



بدورها، أصيبت لورينا، البالغة من العمر عامين، بحروق عندما انسكب عليها سائل حارق في الفوضى التي صاحبت القصف الأخير. وتعكس تجربتها تجربة محمد؛ فهي قد نزحت من منزلها، وهي تعيش الآن في مدرسة تابعة للأونروا. وتقوم والدتها باحضارها إلى النقطة الطبية كل يوم لتلقي العلاج، إلا أن مسكنات الألم غير متوفرة في كثير من الأحيان.



وأيضاً، فإن شريف، البالغ من العمر 40 عاماً وهو أب لطفلين وبائع حلويات سابق، قد شهد حياته متوقفة منذ بدء الحرب. وازدادت حالته سوءاً عندما تعرض لإطلاق النار أثناء نزوحه في جنوب غزة. لم يعد شريف يحصي عدد المرات التي اضطر فيها إلى الفرار بحثاً عن الأمان باستمرار ليصاب بجروح أثناء ذلك. وبعد عودته إلى شمال غزة، وجد منزله مدمراً، وهو يقيم الآن في ملجأ تابع للأونروا. إنه يزور العيادة يومياً لتغيير الضمادات ومراقبة صحته والحصول على الأدوية، ولكنه نادراً ما يحصل على الكمية الكاملة التي يحتاجها. يقول شريف: "من المفترض أن تتم إزالة هذه الصفيحة المعدنية خلال الشهرين القادمين، ولكنني لا أعلم ماذا سيحدث. أشعر بالألم دائماً عندما أتحرك وأضطر إلى الاعتماد على كرسي متحرك. لقد أعددتي هذه الإصابات ولا أستطيع فعل أي شيء. أسوأ ما في الأمر هو عدم حصولي على ما يكفي من الأدوية للشفاء، ولا يوجد ما يكفي من الطعام لمساعدتي على التعافي".

داخل حدود نقطة طبية لا تزيد مساحتها عن 20 مترا مربعا، يقوم فريق مكون من 15 طبيبا برعاية حوالي 700 مريض يوميا؛ ويقدمون خدمات الرعاية الأولية الأساسية، بما في ذلك رعاية ما قبل الولادة، وإدارة الأمراض المزمنة، والدعم النفسي، وعلاج النطق والسمع، وإعادة التأهيل البدني. تقع العيادة على حافة ملجأ مكتظ بالعائلات النازحة التي تعيش في ظروف ضيقة، وتكافح العيادة لمكافحة سوء التغذية وسوء الصرف الصحي، ما يخلق أرضا خصبة للأمراض.

من جهته، يشرح الدكتور محمد الذي يرأس العيادة قائلا: "البروتوكولات الطبية القياسية غير ممكنة هنا. فمع وصول حوالي 30 مريضا إلى غرفة التضميد في وقت واحد، وكثير منهم من جرحى الحرب أو الأطفال المصابين بحروق شديدة تتطلب تغييرا فوريا في الضمادات، نضطر إلى الإسراع. لا يمكن للأطباء أن يستريحوا ولو للحظة واحدة خلال نوبات عملهم. وعلاوة على ذلك، فإن الأطباء ومقدمي الرعاية أنفسهم نازحون بعد أن فقدوا منازلهم، ومع ذلك فهم يواصلون القدوم إلى العمل كل يوم، ويقدمون الرعاية الطبية لكل من يحتاجها. نحن نبذل كل ما في وسعنا، لكن الظروف مزرية. نحن نكتفي بما لدينا، لكن النقص الحاد في الأدوية والمسكنات وغيرها من المستلزمات الطبية الأساسية يشكل تهديدا خطيرا لحياة مرضانا وبقاؤهم هذه الأزمة الطبية".

يتزاحم النازحون خارج النقطة الطبية في انتظار دورهم لتلقي العلاج: نساء حوامل، ومسنون، ومصابون بالربو، وأطفال مصابون بحروق، وجرحى الحرب. إنهم يختلطون بالأطباء ومقدمي الرعاية، بعضهم يتم إبعاده دون دواء، والبعض الآخر محظوظ بما فيه الكفاية لتلقي العلاج. إن الرعاية الصحية التي تقدمها الأونروا هي شريان حياة لا غنى عنه لهؤلاء النازحين، إلا أن حظر المساعدات الذي تفرضه السلطات الإسرائيلية يجعل من الصعب بشكل متزايد علاج المرضى بشكل كاف، ويزداد الأمر صعوبة في مواجهة مستويات غير مسبوقه من الحاجة.